

رسائل النجدي المكية: (٢)

دَوْرُ

المسجد في الإسلام

تأليف

أحمد بن يحيى النجدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه.

أَمَّا بَعْدُ:

مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ إِلْمَامٌ بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَبِالْأَخْصِ عُلُومِ
الْحَدِيثِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَالسِّيَرِ، أَنَّ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَخُلَفَائِهِ
الرَّاشِدُونَ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ مَنْطَلَقًا لِكُلِّ خَيْرٍ.
فَفِيهِ تَوَدَّى الْعِبَادَةُ، فَتَقَامُ فِيهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَمَنْ فَوْقَ مَنْبَرِهِ
تَصْدُرُ الْمَوَاعِظُ، وَالتَّعْلِيمَاتُ، كَمَا فِي قِصَّةِ بَرِيرَةَ، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا بَالُ
أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَرَطٍ لَيْسَ فِي
كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرَطٍ، قَضَاءُ اللَّهِ أَحَقُّ، وَشَرَطُ اللَّهِ أَوْثَقُ،
وَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ»^(١).

وَفِيهِ يَجْلِسُ الْمُعَلِّمُونَ لِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

وَفِيهِ يَلْتَقِي الْعُلَمَاءُ وَالطُّلَابُ، لِهَذَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ لَجْمَاعَةٍ فِي
السُّوقِ: «أَنْتُمْ هَاهُنَا؛ وَمِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقْسَمُ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَرَكُوا
أَعْمَالَهُمْ وَذَهَبُوا يَهْرَعُونَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا حُلُقًا يَتَعَلَّمُونَ، فَارْجِعُوا

(١) «صحيح مسلم»: كتاب العتق (٣٧٥٦ و ٣٧٥٨).

إلى أبي هريرة رضي الله عنه وقالوا: ذهبنا فلم نجد فيه إلا حلقة يتعلمون، فقال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ.

ومنه تنطلق الدعاة والأمراء، فقد أرسل النبي ﷺ معاذًا وأبا موسى إلى اليمن، وقال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا»^(١).

ومنه كانت تخرج الغزاة في الغزوات والسرايا، وقد ظهر النبي ﷺ يوم أحد في درعين.

وفيه كانت تعقد الألوية والرايات.

وإليه تصل البشائر بالنصر في عهده، وعهود خلفائه رضوان الله عليهم.

وفيه كان يجري التحاكم، كما في قصة ماعز، والمتلاعنين، واليهوديين الذين زنيا، وغير ذلك.

وفيه كان يلتقي بالوفود، لأن النبي ﷺ لم تكن له دور واسعة، إنما هي حجرات لأزواجه، لكل واحدة منهن حجرة، وقد التقى بوفود تميم في المسجد حين ناداه أحدهم، فقال: يا محمد! إن مدحي زين، وإن ذمي شين، فقال النبي ﷺ: «ذاك الله»، فأنزل الله ﷻ: «يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِرُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ» [الحجرات: ١].

(١) «صحيح البخاري»: كتاب الجهاد والسير (٢٨٧٣).

ومنه كانت تبعث الدعاة، ويبعث الأمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، ولهذا قال علي بن أبي طالب ؓ لأبي الهياج الأسدي - رحمه الله تعالى -: « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته »^(١).

وإليه تردُّ الإشكالات، ومنه تصدر الفتاوى، فكم من قضية قد أشكل فيها الحكم، فبعثوا إلى أزواج النبي ﷺ يسألن، كقضية الجنب إذا طلع الفجر قبل أن يغتسل، وتقبيل الصائم، وغير ذلك من الأمور السرية، فيخبر أزواج النبي ﷺ بما كان يفعل - صلوات الله وسلامه عليه - فتكون هي الفتوى، وعلى هذا فإنه يصح أن نقول: كان المسجد في زمن النبي ﷺ بيت عبادة، فيه تؤدي الصلوات، ومن فوق منبره تصدر التوجيهات، وتنكر المنكرات، وهو مدرسة للتعليم، وملتقى للعلماء والمتعلمين.

ومنه ينطلق الدعاة، وفيه تعقد الألوية للغزوات، وإليه تصل البشائر بالنصر في عهود الخلفاء الراشدين.

وفيه كان النبي ﷺ يستقبل الوفود.

وإليه تصدر الإشكالات، ومنه تصدر الفتاوى؛ بل وأعظم من ذلك أن النبي ﷺ كان يتخذ من المسجد مستودعا لمال الزكاة قبل قسمته كما في

(١) «صحيح مسلم»: كتاب الجنائز (٢٢٤٠).

حديث أبي هريرة ؓ حين كان حارسا على تمر الصدقة، وقول النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب»^(١).

وكان النبي ﷺ يلتقي بأصحابه حين يحدث له ما يفرحه، كما في قصة توبة الله على الثلاثة الذين خلفوا، في حديث كعب بن مالك^(٢).

أو يحزنه كما في قوله -صلوات الله وسلامه عليه-: «من يعذرني من رجل بلغني أذاه حتى في أهلي»^(٣).

لذلك فإن المساجد جديرة بالثناء والتنويه الذي نوه الله بها فيه حيث قال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۚ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۚ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّ سَوَاقِمْ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۚ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ ﴾ [الحج: ٤٠].

(١) «صحيح البخاري»: كتاب الوكالة (٢١٨٧).

(٢) «صحيح البخاري»: كتاب المغازي (٤٤١٨).

(٣) «صحيح البخاري»: كتاب الشهادات (٢٥١٨).

وحيث أن المسجد هو منطلق لكل عمل خيري؛ فإن الواجب على المسؤولين عن المساجد ألا يولوا عليها إلا من يكون أهلاً لذلك، بأن يعلم عنه أنه ينشر من خلال المسجد في دروسه، وخطبه، ومواعظه، وتعليقاته ما هو مؤيد بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعمل السلف الصالح. وأن يمنعوا من علم عنه أو اتهم بقرائن واضحة؛ بأنه حزبي ينشر البدع ويقرها، ويدعو إليها، فإن هذه المسؤولية يسأل الله عنها من تولاها هل وضعها في محلها أم لا ؟

وهذا أمر لا شك فيه؛ فالسؤال لا بدّ كائن، والله تعالى يقول: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٦-٧].

ويقول جل من قائل: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٦﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يبصرهم بالحق، ويرزقهم اتباعه، وأن يبصرهم بالباطل، ويرزقهم اجتنابه، وألا يجعله ملتبسا عليهم فيضلوا.

وصلّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

كتبه/ أحمد بن يحيى بن محمد النجمي

١٠ / ٤ / ١٤٢٦ هـ